٦٢٧

صدق في مقعد صدق عند مليك مقتدر اي قادر لا يعجزه شيء وقيل مقتدر بين امره في الملك والاقتدار اعظم شيء فلا شيء الا وهو
تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها قال جعفر
الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق والله اعلم تفسير سورة
الرحمن عز وجل مكية وذكر ابن الجوزي انها مدنية في قول احد القولين عن ابن عباس وهي ثمان وسبعون
ايه واحد وخمسون كلمة والف وستمائة وستة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الرحمن علم القران
قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لا نعرف الرحمن فانزل الله الرحمن يعني الذي انكرتموه
هو الذي علم القران وقيل هو جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القران يعني علم محمدا القران
وقيل علم القران يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم اعظمها نعمة واعلاها رتبة وهو القران
العزيز لانه اعظم وحي الله الى انبيائه واشرفه منزلة عند اوليائه واصفيائه واكثره ذكرا واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو
سنام الكتب السماوية المنزلة على افضل البرية خلق الانسان يعني ادم عليه السلام قال ابن عباس علمه البيان يعني اسماء
كل شيء وقيل علمه اللغات كلها فكان ادم يتكلم بسبعمائة لغة افضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس والمراد به جميع الناس
فعلى هذا يكون معنى علمه البيان اي النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف
ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان
يعني بيان ما يكون وما كان لانه صلى الله عليه وسلم ينبي عن خبر الاولين والاخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان
الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام الشمس والقمر بحسبان قال ابن عباس يجريان بحسبان ومنازل لا يعدوانها وقيل
يعني بهما تحسب الاوقات والاجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب ما يريد وقيل الحسبان
من الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو ما يدور بالحديد ومرانه والنجم والشجر يسجدان قيل النجم ما ليس له ساق من النبات
كالبقول والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء وسجودهما سجود ظلهما وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول
اظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولانهما ارضيان في مقابلة سماويين والسماء رفعها اي فوق الارض
ووضع الميزان قيل اراد بالميزان العدل لانه الة العدل والمعنى انه امر بالعدل يدل عليه قوله الا تطغوا في الميزان
اي لا تجاوزوا العدل وقيل اراد به الالة التي يوزن بها ليتوصل بها الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير
الا تطغوا في الميزان اي لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان واقيموا الوزن بالقسط اي بالعدل وقيل اقيموا لسان
الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوا الميزان ولا تطففوا في الكيل والوزن
امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان
تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه والارض وضعها اي خفضها مدحوة على الماء للانام اي للخلق
الذي بث فيها وهو كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فيها فاكهة اي في الارض فاكهة
اي من انواع الفواكه وقيل ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى والنخل ذات الاكمام يعني الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل
يكون في غلاف وهو الطلع ما لم ينشق وكل شيء ستر شيئا فهو كم وقيل اكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانها اعظمها
واكثرها بركة والحب يعني جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما اخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء
الى الاعلى لان الحب انفع من النخل واعم وجودا في الاماكن ذو العصف قال ابن عباس يعني التبن وعنه انه ورق الزرع الاخضر
اذا قطع رؤوسه ويبس وقيل هو ورق الزرع وقيل العصف ورق كل شيء يخرج منه الحب يبدو اصلا حدوده ولا ورق وهو العصف
ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه اكماما ثم يحدث في الاكمام الحب والريحان يعني الرزق قال ابن عباس كل ريحان في القران
فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس

فقال

فقال تعالى فباي الاء ربكما تكذبان يعني ايها الثقلان يريد هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الاية في هذه السورة في احد وثلاثين موضعا تقريرا
للنعمة وتاكيدا في التذكير بها ثم عدد على الخلق الاءه وفصل بين كل نعمتين بما نبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول
الرجل لمن احسن اليه وتابع اليه بالايادي وهو ينكرها ويكفرها الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن عريانا فكسوتك
افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب حسن تقريرا وذلك ان الله تعالى
ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان ومن خلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك
مما انعم به على خلقه خاطب الانس والجن فقال فباي الاء ربكما تكذبان من الاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم عن جابر
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرا عليهم سورة الرحمن من اولها الى اخرها فسكتوا فقال لقد قراتها
على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كنت كلما اتيت على قوله فباي الاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا
نكذب فلك الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي رواية غيره كانوا احسن منكم ردا وفيه ولا بشيء قوله تعالى
خلق الانسان من صلصال يعني من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر كالفخار يعني الطين المطبوخ بالنار وهو
الخزف **فان قلت** قد اختلف العلماء في خلقة صفة ادم فقال تعالى من تراب وقال من حما مسنون
وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار **قلت** ليس في هذه العبارات
اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه اولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حما مسنونا
وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار وخلق الجان وهو ابو الجن وقيل هو ابليس من مارج من نار
يعني الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي
يعلو النار اذا اوقدت فباي الاء ربكما تكذبان رب المشرقين يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء
وهو غاية انحطاط الشمس ورب المغربين يعني مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعني مشرق الشمس ومغرب القمر
فباي الاء ربكما تكذبان مرج البحرين يعني ارسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين لان من
شانهما الاختلاط وهو قوله يلتقيان لكن الله تعالى منعهما عما في طبعهما بالبرزخ وهو قوله بينهما برزخ اي حاجز
من قدرة الله لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس
بالغرق وقيل مرج البحرين بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعني
الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في كل عام فباي الاء ربكما تكذبان يخرج منهما اي من احدهما وهو البحر
الملح دون العذب وهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل انما يخرج من احدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى
البحران صارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه
وقيل يخرج من ماء السماء فتنفتح الاصداف افواهها حيث ما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة وقوله تعالى
اللؤلؤ قيل هو ما عظم من الدر والمرجان صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر فباي الاء ربكما
تكذبان وله الجوار يعني السفن الكبار المنشات اي المرفوعات التي رفع خشبها بعضه على بعض وقيل هو ما
رفع قلعها في البحر اما ما لم يرفع قلعها فليس من المنشات وقيل معنى المنشات المحدثات المخلوقات المسخرات
في البحر كالاعلام اي كالجبال في البر جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبال في البر فباي الاء ربكما
تكذبان قوله عز وجل كل من عليها اي على الارض وانما ذكرها لغلبة من عليها من العقلاء فان اي هالك لان وجود
الانسان في الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه حث على العبادة وصرف الزمن اليسير الى الطاعة
ويبقى وجه ربك يعني ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفي المخاطب وجهان احدهما انه عام لكل احد والمعنى ويبقى
وجه ربك ايها الانسان السامع والوجه الثاني انه يحتمل ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ذو الجلال

Copyright © King Saud University